تقديـم

أخى المسلم ، أختى المسلمة :

منذ زمنٍ بعيد وأنا أُفَكِّر فى الكتابة حول موضوع : (سنن الفطرة) الذى يتعلق بما أشار إليه الحديث الشريف الذى ورد :

ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: « **الفطرة خمسٌ : الاستحدادُ ، والختانُ ، وقَصُّ الشارب ، ونَتْفُ الإبط ، وتقليمُ الأَظَافِر** » أخرجه أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه .

ـ وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال : « **عشرٌ من الفطرة : قَصُّ الشارب ، وإعفاءُ اللحية ، والسواك ، والاستنشاقُ بالماء ، وقَصُّ الأَظافِر ، وغسل البَراجِم ، ونتف الإبط ، وحَلْقُ العَانَة ، وانتقاصُ الماء** » والمضمضة ، أخرجه أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وحسّنه الترمذى .

فهذه السنن ـ كما هو واضح فى الحديثين ـ من الأمور التى ينبغى على كل مسلم أن يكون على فقه بأهم ما يتعلق بها من أحكامٍ فضلاً عن الآثار المتعلقة بها ، والتى منها ـ مثلاً ـ ما ورد عن ابن عباسٍ ـ رضى الله عنهما ـ حول قول الله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ** ﴾ ، فلقد قال :

« ابتلاه بالطهارة : خمسٌ فى الرأس ، وخمسٌ فى الجسد . فى الرأس : قَصُّ الشّارب ، وَالمضْمَضَةُ ، والاستنْشَاقُ ، والسّواكُ . وَفَرقُ الرأسِ ، وفى الجَسَدِ: تقليم الأَظْفَارِ ، وَحلْقُ العَانَةِ ، وَالخِتَانُ ، ونَتْفُ الإبطِ ، وغسل أَثَرِ الغائط والبولِ بالماء » أخرجه عبد الرزّاق بسند صحيح .

.. ولهذا ، فقد رأيتُ ـ كما أشرت فى أول هذا التقديم ـ بعد أن فكرتُ ، واستخرتُ ، واستشرتُ : أن أكتب حول هذه السنن الهامة التى إن نفذناها ـ إن شاء الله تعالى ـ على أساس من العلم كُنّا من المثابين على هذا .. وكنا كذلك من أهل النظافة ، ومن أهل الطهارة الذين يحبهم الله ـ تبارك وتعالى ـ كما يشير إلى هذا قوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾(١) ، ولاسيما إذا كان هذا التّطَهُّر والتزيُّن يتعلق بالمسجد عندما يذهب إليه المؤمن عند كل صلاة .. كما يشير إلى هذا قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ** ﴾(٢) .

وهذا يشير كذلك إلى أنه ليس من الكبر أن يكون الإنسان متجملاً :

ـ فعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « **لا يدخل الجنة مَن كان فى قلبه مثقالُ ذَرةٍ من كبرٍ** » فقال رجلٌ : إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبُه حسناً ونعلُه حسنةً ؟

قال : « **إن الله جميل يُحبُّ الجمال ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغمطُ الناس** » رواه مسلم .

---

(١) البقرة ، من الآية : ٢٢٢ .
(٢) الأعراف : ٣١ .

(بَطَرُ الحق) : دفعه ورده على قائله ، و (غَمْطُ الناسِ) : احتقارهم .

وقد قرأت في (القرطبي) حول تفسير قول الله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾(١) :

- أنه روى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شيخ مالك - رضي الله عنهم -: أنه كان يلبس كِسَاءَ خَزٍّ بخمسين ديناراً ، يلبسه في الشتاء ، فإذا كان الصيف تصدق به ، أو باعه فتصدق بثمنه ، وكان يلبس في الصيف ثوبين من متاع مصر مُمَشَّقَيْن(٢) ويقول : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ .

- وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه رأى حُلَّةَ سِيَراءَ(٣) تُباع عند باب المسجد ، فقال : يا رسول الله ، لو اشتريتَها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إنَّما يلبس هذا مَن لا خلاق له في الآخرة » : فما أنكر عليه ذِكْر التَّجمُّل ، وإنما أنكر عليه كونها سِيَراء .

- وقد اشترى تميم الداري - رضي الله عنه - حُلَّةً بألف درهم كان يُصلِّي فيها .

- وكان مالك بن دينار - رضي الله عنه - يلبس الثيابَ العدنية الجياد .

---

(١) الأعراف ، الآية : ٣٢ .
(٢) ثوب ممشق وممشوق : هو المصبوغ بالمشق ، وهو صبغ أحمر .
(٣) سِيَراء : نوع من البرود فيه خطوط صفر ، أو يخالطه حرير .

ـ وقد روى محمد بن سعد : أخبرنا الفضل بن دُكَين قال : حدثنا مَنْدَل عن ثَور عن خالد بن مَعْدان قال : كان رسول الله ﷺ يسافر بالمشط والمرآة والدهن والسِّواك والكحل . وعن جُرَيج : مشط عاج يمتشط به . قال ابن سعد : وأخبرنا قَبيصةُ بن عقبة قال : حدثنا سفيان عن ربيع بن صبيح عن يزيد الرَّقَّاشي عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يكثر دهن رأسه ويسرِّح لحيته بالماء . وأخبرنا يزيد بن هارون ، حدثنا عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله ﷺ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ بها عند النوم ثلاثاً فى كل عين .

فهذا كلُّه بالإضافة إلى غيره من الآثار والأخبار : يدل على أن الإسلام دين يُقدس الطُّهر والعفاف ، ويحب النظافة ، ويُرغِّب فيها .. وأن الإسلام دين يعشق الجمال فى كل شئ ، ويحبُّ أن يكون معتنقه فى أحسن هيئةٍ ، وعلى أحسن حال .

ولله در من قال :

حَسِّن ثيابك ما استطعتَ فإنها ... زَيْنُ الرجالِ بها تُعَزُّ وتُكْرَمُ
ودَعِ التخشُّنَ فى الثيابِ تواضُعاً ... فاللهُ يعلَمُ ما تُكِنُّ وتَكْتُمُ
فَرثيثُ ثوبك لا يَزيدُكَ رفعةً ... عند الإله وأنتَ عبدٌ مُجرِمُ
وجديدُ ثوبك لا يضرك بعد أن ... تخشى الإلهَ وتتَّقِى ما يحرم

.. هذا ، وإذا كنتُ قد أشرتُ إلى هذا الخير قبل الانتقال إلى موضوعنا الأساسى وهو شرح : (سنن الفطرة) : فإننى أهدف من وراء هذا التقديم أن

تكون - أخا الإسلام - طاهراً فى مظهرك ومخبرك ، وأن تكون كذلك من أهل الطهارة التى تعبدنا الله تعالى بها ، فجعلها شرطاً فى صحة كثير من العبادات ، وجعلها من الإيمان بمنزلة النصف من الكل :

- فعن أبى مالك الأنصارى أن رسول الله ﷺ قال : « **الطُّهور شطر الإيمان** » رواه مسلم .

- وفى رواية لأحمد : « **الطهارة نصف الإيمان** » ، والروايتان بمعنى واحد . فالطُّهور - بضم الطاء - أو الطهارة هو : رفع الحدث والخبث .

.. وقد قرأت فى كتاب (الفقه الواضح) كلاماً عظيماً قاله الإمام الغزالى - رحمه الله تعالى - فى كتابه (الإحياء) ، وهو أن الطهارة المشار إليها فى هذا الحديث أو فى الحديثين تنقسم إلى أربع مراتب :

- المرتبة الأولى : تطهير الظاهر من الأحداث ، والأخباث والفضلات .

- المرتبة الثانية : تطهير الجوارح من الجرائم والآثام .

- المرتبة الثالثة : تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة .

- المرتبة الرابعة : تطهير السر مما سوى الله تعالى : وهى طهارة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

والطهارة فى كل مرتبة نصف العمل الذى هى فيه .

.. فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. وكن حريصاً على تنفيذه على أساس من الفقه السليم .

والله ولى التوفيق

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى